

مَخَارِجُ حُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ: حَالُهَا وَتَرْتِيبُهَا

بينَ الدرسِ القديمِ والدرسِ الحديثِ

عَرْفَةُ وَمُنَافَسَةُ

د. غانم قدوري الحمد

كلية التربية - جامعة تكريت - العراق

مَقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

أما بعد:

فإنَّ اللغةَ أصواتٌ تُصْدِرُهَا آلةُ النطق، ولكل صوتٍ موضعٌ يخرج منه، يُسمَّى المخرج، ودراسة مخارج الحروف من الموضوعات الأساسية التي غُنِيَ بها علماء اللغة العربية وعلماء التجويد المتقدمين، وهي موضعُ عناية علماء الأصوات اللغوية المُحَدِّثِينَ أيضاً، وهناك توافق على كثير من تفاصيل هذا الموضوع بين الفريقين، لكنني وجدت بعض جوانبه تحتاج إلى مراجعة وتحقيق.

ويكاد معظم دارسي الأصوات المُحَدِّثِينَ يَعُدُّونَ مخارج أصوات العربية عشرة مخارج، وَيَبْدُؤُونَ بترتيبها من مخارج الشفتين، وينتهون بمخارج أصوات الحلق، وَيَعُدُّونَ ذلك من مبتكرات الدرس الصوتي الحديث.

ومن المعروف أن أكثر علماء العربية والتجويد يعدون المخارج ستة عشر

أو سبعة عشر مخرجاً، ويرتبون المخارج من منطقة الحلق صاعدين إلى مخارج الفم والشفيتين، لكن من المؤكد أيضاً أن عدداً منهم يعدون المخارج أربعة عشر مخرجاً ويمكن أن تؤول إلى اثني عشر، وأن عدداً منهم رتبوا المخارج بادئين من مخارج الشفتين، على نحو ما هو شائع في الدرس الصوتي الحديث.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على هاتين النقطتين، أعني ما ذهب إليه عدد من العلماء المتقدمين من عدّ المخارج أربعة عشر مخرجاً، وترتيبها بدءاً من الشفتين، لتأكيد ريادتهم في هذا المجال، ولربط الدرس الصوتي العربي الحديث بالتراث الصوتي العربي القديم، حتى لا ننسب ما سبق إليه علماؤنا من حقائق تتعلق بعلم الأصوات قبل قرون كثيرة إلى غيرهم من المعاصرين، ويترتب على مثل هذه النسبة سلبيتان، الأولى: هضم القدماء حقهم في التقديم، والأخرى: الشعور بتبعية درسنا الصوتي المعاصر للدرس الغربي جملة وتفصيلاً!

وسوف أعرض الموضوع من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: عدد مخارج حروف العربية وترتيبها في الدرس

الصوتي العربي القديم.

المبحث الثاني: عدد مخارج حروف العربية وترتيبها في الدرس

الصوتي الحديث.

يتقدمهما تمهيد في تعريف المخرج، وفكرة ترتيب المخارج، ويتبعهما خاتمة تتضمن ما يمكن استنتاجه من الموازنة بين ما قرّره علماء السلف وما ذهب إليه المحدثون.

وليس من أهداف هذا البحث دراسة مخارج الحروف دراسة تفصيلية لتحديد مخرج كل حرف ومناقشة ما أثير حوله من نقاش، فذلك أوسع من أن نستوعبه في هذا البحث الذي سوف يركز على ما له علاقة بعدد المخارج وترتيبها. أسأل الله تعالى التوفيق للصواب، إنه ولي ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٢٠٠٨/٤/٩

تكرير



تمهيد

الْمَخْرَجُ لُغَةً: اسْمُ مَكَانٍ مِنَ الْفِعْلِ خَرَجَ يَخْرُجُ، بِمَعْنَى بَرَزَ مِنْ مَقَرِّهِ وانفصل، فيكون المخرج موضع الخروج^(١).

والمخرج اصطلاحاً، عند المتقدمين: «الموضع الذي ينشأ منه الحرف»^(٢)، أو هو «موضع خروج الحرف»^(٣)، أو هو «المقطع الذي ينتهي الصوت عنده»^(٤)، أو هو «الحيز المؤلّد للحرف»^(٥).

وعرّف عدد من دارسي الأصوات المحدثين المخرج بأنه «مكان النطق»^(٦)، أو هو «موضع التماس (التلاقي) أو التقارب»^(٧)، أو هو «النقطة الدقيقة التي يصدر منها أو عندها الصوت»^(٨).

وليس هناك تعارض بين هذه التعريفات، وهي تشترك في الإشارة إلى الموضع الذي تعترض فيه آلة النطق النَّفْسُ لإنتاج الصوت، سواء خرج الصوت من موضع الاعتراض أو منفذ آخر.

واستعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في مقدمة كتاب

(١) ينظر: لسان العرب (٧٣/٣) خرج.

(٢) الداني، التحديد ص ١٠٢، والواسطي، الكنز (١/١٦٥)، والسيوطي، معجم الهوامع (٢٢٨/٢).

(٣) أبو شامة، إبراز المعاني ص ٧٤٣.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل (١٠١/١٢٣).

(٥) ابن الناطم، الحواشي المفهمة ص ٥١.

(٦) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص ٨٤.

(٧) محمود السعران، علم اللغة ص ١١٨.

(٨) كمال بشر، علم الأصوات ص ١٨٠.

العين مصطلح الحيز والمَدْرَج، بجانب مصطلح المخرج، وتبدو هذه المصطلحات عنده مترادفة، وقد يكون الحيز عنده أعم من المخرج^(١).

وقبل عرض وجهة نظر الدارسين في عدد المخارج وترتيبها يحسن الإشارة إلى مسألتين وردت في كلام العلماء السابقين، تتعلق الأولى بمقولة: إِنَّ كُلَّ حَرْفٍ لَهُ مَخْرَجٌ، وتعلق الثانية: بإدراكهم للأسس التي يستند إليها ترتيب المخارج.

أما المسألة الأولى: فإن أول من قال بها هو: أبو عمرو عثمان بن عمر المشهور بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، ولم تجد مقولته هذه تأييداً من العلماء الذين عاشوا بعده، لكنهم اشتغلوا بمناقشتها بعض الوقت، قال ابن الحاجب: «قَسَمَ النجويون مخارج الحروف إلى ستة عشر مخرجاً، على التقريب وإلحاق ما اشتد تقاربه بمقاربه، وجعله معه من مخرج واحد. والتحقيق أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ لَهُ مَخْرَجٌ يَخَالِفُ الْآخَرَ، وَإِلَّا لَكَانَ إِيَّاهُ»^(٢).

وقال الأسترآبادي (ت ٦٨٦هـ) معلقاً على قول ابن الحاجب هذا: «ويمكن أن يقال: إن اختلافها قد يحصل مع اتحاد المخرج بسبب اختلاف وضع الآلة من شدة الاعتماد وسهولته وغير ذلك، فلا يلزم أن يكون لكل حرف مخرج»^(٣).

وقال علي القاري (ت ١٠١٤هـ) راداً على قول ابن الحاجب: «هذا التعليل بعيد من التحقيق، فإن الجمهور من أرباب التدقيق جعلوا لحروف متعددة مخرجاً واحداً، بناءً على أن التمييز حاصل باعتبار اختلاف الصفات»^(٤).

(١) ينظر: العين (٥٧/١ - ٥٨).

(٢) الإيضاح (٤٨٠/٢)، وينظر: أبو شامة، إبراز المعاني ص ٧٤٤.

(٣) شرح الشافية (٢٥١/٣).

(٤) المنح الفكرية ص ٧٦.



واندثرت مقولة ابن الحاجب هذه، ومن ثم فإنني لن أذكرها ضمن مذاهب العلماء في عدد المخارج، فلم يقل أحد من العلماء بعده: إن عدد المخارج بعدد حروف اللغة^(١).

أما المسألة الثانية، فتتعلق بالأسس التي يقوم عليها ترتيب المخارج ترتيباً تصاعدياً أو تنازلياً، فإن بعض العلماء المتأخرين أوضح الأساس الذي استند إليه جمهور علماء السلف في ترتيب المخارج بادئين بمخارج تجويف الحلق، فقال أبو بكر أحمد بن الجزري (ت ٨٣٥ هـ) في شرحه منظومة والده في التجويد: «كل مقدار له نهايتان أَيْتَهُمَا فَرَضْتَ أَوَّلُهُ كَانَ مَقَابِلُهَا آخِرُهُ، وَلَمَّا كَانَ وَضِعُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْإِنْتِصَابِ لَزِمَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ رَأْسُهُ أَوَّلُهُ، وَرَجُلَاهُ آخِرُهُ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ الْمَخَارِجِ الشَّفَتَيْنِ... وَلَوْ كَانَ وَضِعُ الْإِنْسَانِ عَلَى التَّنْكِيسِ لَانْعَكَسَ، وَلَمَّا كَانَ مَادَّةُ الصَّوْتِ الْهَوَاءَ الْخَارِجَ مِنْ دَاخِلٍ، كَانَ أَوَّلُهُ آخِرَ الْحَلْقِ، وَآخِرُهُ أَوَّلَ الشَّفَتَيْنِ، فَتَرَبَّ النَّازِمُ الْحُرُوفَ بِاعْتِبَارِ الصَّوْتِ، وَفَاقاً لِلْجُمْهُورِ»^(٢).

وقال محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) في كتابه (بيان جهد المقل): «إن في ترتيب المخارج اعتبارين:

أحدهما: وهو الذي أخذه الجمهور، واختير في هذه الرسالة أن يكون أول المخارج أقصى الحلق، وآخرها خارج الشفتين.

والآخر: أن يكون أول المخارج خارج الشفتين وآخرها أقصى الحلق، وهو الذي اختاره بعض العلماء، وهكذا قاله البعض»^(٣).

(١) قَسَمَ الْمَرْعِشِيُّ الْمَخَارِجَ إِلَى كَلِيَّةٍ وَجُزْئِيَّةٍ، وَجَعَلَ لِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجاً جُزْئِيًّا، بَيَانُ جِهْدِ الْمَقْلِ ص ١٢١، مُحَاوَلَةٌ مِنْهُ لِإِيجَادِ تَفْسِيرٍ مَقْبُولٍ لِمَذْهَبِ ابْنِ الْحَاجِبِ، لَكِنْ الدَّارِسِينَ لَمْ يَجِدُوا ضَرُورَةَ لَتَبْنِي هَذَا التَّقْسِيمَ.

(٢) الْحَوَاشِي الْمَفْهُمَةُ ص ٥٣.

(٣) بَيَانُ جِهْدِ الْمَقْلِ ص ٤٥.

ولم ترد في المصادر المتداولة من كتب علماء العربية والتجويد إشارة إلى من قام بترتيب المخارج ترتيباً تنازلياً من علماء السلف، لكن سيتضح من خلال البحث أن هذا الترتيب كان معمولاً به منذ أمد بعيد، وإن اندثرت أخباره.





المبحث الأول:

عَدَدُ الْمَخَارِجِ وَتَرْتِيبُهَا فِي الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ

حَظِي مَوْضُوعَ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ بِعُنَايَةِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَعُلَمَاءِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، لِسَبِّينَ عَلَى الْأَقْل:

الأول: لَأَنَّ أَحْكَامَ الْإِدْغَامِ بَيْنَ الْحُرُوفِ تَنْبَنِي عَلَى مَقْدَارِ الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ فِي الْمَخَارِجِ، قَالَ سَيَبَوِيهِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا: «وَأِنَّمَا وَصَفْتُ لَكَ حُرُوفَ الْمَعْجَمِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لِتَعْرِفَ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الْإِدْغَامُ وَمَا يَجُوزُ...»^(١).

الثاني: إِنَّ تَجْوِيدَ الْقِرَاءَةِ وَتَحْقِيقَ النُّطْقِ يَتَوَقَّفَانِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا^(٢)، قَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي: «أَعْلَمُوا أَنَّ قُطْبَ التَّجْوِيدِ وَمِثْلَهُ التَّحْقِيقُ مَعْرِفَةُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا الَّتِي بِهَا يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي الْمَخْرَجِ»^(٣).

وَلَا يَتَسَعُّ الْبَحْثُ لِتَتَبَعَ جَمِيعَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ التَّرَاثِ الصَّوْتِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ حَوْلَ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ، وَسَوْفَ أَقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ الْمَذَاهِبِ الرَّئِيسَةِ مِنْ

(١) الْكِتَابُ (٤/٤٣٦).

(٢) يَنْظُرُ: الْمَرَادِي، الْمَفِيدُ ص ٣٩، وَشَرْحُ الْوَاضِحَةِ (لَهُ) ص ٣٠.

(٣) التَّحْدِيدُ ص ١٠٢.

خلال تتبعها عبر ثلاث مراحل: مرحلة الرواد الأوائل، ومرحلة الترجيح بين المذاهب، ومرحلة إعادة صياغة نظرية ترتيب المخارج وعددها.

□ المرحلة الأولى: الرواد الأوائل:

وأعني بها المرحلة التي ظهرت فيها المذاهب الرئيسية في تحديد مخارج الحروف لدى علماء اللغة العربية الأوائل الذين عاشوا في أواخر القرن الثاني الهجري، وأوائل القرن الثالث، وكان سيبويه واسطة العقد في هذه المرحلة، يتقدمه شيخه الخليل بن أحمد، ويتبعه أبو عَمَرَ الجَزْمِيُّ - رحمهم الله تعالى جميعاً -.

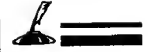
(١) مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

ورد في مقدمة كتاب (العين) للخليل بيان لمخارج الحروف، ونسبتها إلى مواضعها، ومهما يكن الرأي في دور الخليل في تأليف الكتاب، فإن مادة الكتاب كانت في متناول يد الدارسين في وقت مبكر، وأثرت في موقف العلماء في تحديد مخارج الحروف في العصور اللاحقة.

جاء في مقدمة كتاب العين: «قال الليث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياناً^(١) ومَدَارِجُ، وأربعة جُوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسُمِّيَتْ جَوْفاً لأنها تخرج من الجَوَفِ فلا تَقَعُ في مَدْرَجَةٍ من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحَلْقِ، ولا من مَدْرَجِ اللِّهَاءِ، وإنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حَيَزٌ تنسب إليه إلا الجَوَفِ، وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي: أنها في الهواء.

قال الخليل: فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بَحَّةٌ في

(١) في المطبوع (أحياناً) وهو تحريف، ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة (١/٤٠).



الحاء لأشبهت العين لقُرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هَتْةٌ في الهاء، وقال مرة: هَهَّةٌ، لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء. فهذه ثلاثة أحرف في حَيِّزٍ واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حَيِّزٍ واحد، كُلُّهُنَّ حَلْقِيَّةٌ.

ثم القاف والكاف لهَوِيَّتَانِ، والكاف أرفعُ.
ثم الجيم والشين والضاد في حَيِّزٍ واحد.
ثم الصاد والسين والزاي في حَيِّزٍ واحد.
ثم الطاء والذال والتاء في حَيِّزٍ واحد.
ثم الظاء والذال والثاء في حَيِّزٍ واحد.
ثم الراء واللام والنون في حَيِّزٍ واحد.
ثم الفاء والباء والميم في حَيِّزٍ واحد.
ثم الألف والواو والياء في حَيِّزٍ واحد.
والهمزة في الهواء لم يكن لها حَيِّزٌ تُنسب إليه.

قال الليث: قال الخليل:

فالعين والحاء [والهاء]^(١) والحاء والغين: حَلْقِيَّةٌ، لأن مَبْدَأَهَا من الحَلَقِ.

والقاف والكاف: لهَوِيَّتَانِ، لأن مَبْدَأَهَا من اللِّهَاءِ.

والجيم والشين والضاد: شَجَرِيَّةٌ، لأن مَبْدَأَهَا من شَجَرِ الْفَمِ، أي: مَفْرَجِ الْفَمِ.

والصاد والسين والزاي: أَسَلِيَّةٌ، لأن مَبْدَأَهَا من أَسَلَةِ اللِّسَانِ، وهي مُسْتَدَقُّ طَرَفِ اللِّسَانِ.

(١) ساقطة من المطبوع، وأكملتها من تهذيب اللغة للأزهري (٤٠/١).

والطاء والتاء والذال: نِطْعِيَّةٌ، لأن مبدأها من نِطْعِ الغار الأعلى.
والظاء والذال والثاء: لِثْوِيَّةٌ، لأن مبدأها من اللِّثَةِ.
والراء واللام والنون: ذَلِقِيَّةٌ، لأن مبدأها من ذَلَقِ اللسان، وهو تحديد
طَرَفِي ذَلَقِ اللسان.
والفاء والباء والميم: شَفَوِيَّةٌ، وقال مرةً: شَفَهِيَّةٌ، لأن مبدأها من
الشَّفَةِ.
والياء والواو والألف والهمزة: هَوَاتِيَّةٌ في حَيْزٍ واحد، لأنها لا تتعلق
بها شيء.

فَنَسَبَ كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه^(١).

ويُشِيرُ وَضْعُ الخليل الهمزة مع الحروف الجوفية أو الهوائية التساؤل عن
مدى دقة الخليل في هذا الوصف للهمزة، لكنَّ نصًّا آخر ورد في موضع
مُتَقَدِّم من مقدمة كتاب العين، تحدَّث فيه الخليل عن حروف الذلاقة، وأشار
فيه إلى بعض مخارج الحروف، أكتفي بنقل ما قاله عن مخرج الهمزة خشية
الإطالة، وهو قوله: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحَلْقِ مَهْتُوتَةٌ
مَضْغُوتَةٌ، فإذا رُفِّعَ عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف، على غير
طريقة الحروف الصحاح»^(٢).

ويكشف هذا النص عن فهم صحيح لطبيعة الهمزة ومخرجها، فهي
من أقصى الحلق إذا كانت مُحَقَّقَةً، وهي هوائية إذا كانت مُسَهَّلَةً.

ورَتَّبَ الخليل حروف العربية على ضوء مذهبه في ترتيب مخارج
الحروف، فقد جاء في مقدمة العين: «وَقَلَّبَ^(٣) الخليل: أ، ب، ت، ث،
فوضعها على قدر مخرجها من الحلق، وهذا تأليفه:

(١) العين (٥٧/١ - ٥٨)، ونقل النص الأزهري في تهذيب اللغة (٤٠/١).

(٢) العين (٥٢/١).

(٣) في المطبوع، (قَلَّبَ) بتشديد اللام، والمناسب عدم التشديد.



ع، ح، هـ، غ، خ - ق، ك - ج، ش، ض - ص، س، ز - ط، د، ت -
ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف، ب، م - و، أ، ي - همزة^(١).

وإذا كان الخليل قد جعل ألقاب الحروف تسعة بحسب الحيز الذي تخرج منه، فإن عدد المخارج قد يكون أكثر من ذلك، لأنه تحدث عن أكثر من مخرج لحروف الحلق، ويمكن أن تكون المخارج لديه عشرة أو أحد عشر مخرجاً، وليس الغرض هنا مناقشة مدى دقة ما ذهب إليه الخليل، ولكن الغرض عرض وجهة نظره.

(٢) مذهب سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠هـ):

نحا سيبويه منحى مغايراً لمنحى الخليل في ترتيب المخارج والحروف، وهو أمر يستوقف نظر الدارس، لأنَّ سيبويه كان مَغْنِيّاً بعلم شيخه حريصاً عليه، نقل كثيراً منه في الكتاب، لكن ما ورد في مقدمة كتاب العين عن المخارج لم يكن له صدى في (الكتاب)، ويحتمل الأمر عدة تفسيرات لا يلزم التعرض لها هنا^(٢).

عقد سيبويه في آخر الكتاب باباً للإدغام، صدره بباب عن عدد حروف العربية ومخارجها وأحوالها، قال في أوله: «فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والحاء، والقاف، والكاف^(٣)، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام،

(١) العين (٤٨/١).

(٢) قد يكون منها أن سيبويه لم يطلع على كتاب العين، ولم يسمع ما ورد في مقدمته عن الخليل، لأنه من المحتمل أن يكون الليث بن المظفر أخذه عن الخليل ولم ينشره إلا بعد وفاة سيبويه، لكن هذا الاحتمال قد يكون ضعيفاً إذا عرفنا أن سيبويه أخذ علم الخليل مشافهة، وليس من كتاب.

(٣) في متن المطبوع، (والكاف والقاف)، وذكر المحقق في الهامش أن في بعض نسخ الكتاب (والقاف والكاف)، وهو المناسب لمذهب سيبويه في ترتيب المخارج.

والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين،
والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو^(١).

ثم ذكر سيبويه مخارج هذه الحروف فقال: «ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً^(٢)»:

فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن
أوسط الحلق: مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والحاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى: مخرج القاف.
ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً، ومما يليه من الحنك
الأعلى: مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: مخرج الجيم
والشين والياء.

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: مخرج الضاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما
يليها من الحنك الأعلى و[ما فَوْقَ الضاحك والناب والرَّبَاعِيَّةِ والثَّنِيَّةِ: مخرج
اللام.

ومن طرف اللسان بينه وبين^(٣) ما فَوْقَ الثنايا: مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى
اللام: مخرج الراء.

(١) الكتاب (٤/٤٣١).

(٢) ضُبِطَتْ كلمة (المخرج) في المطبوع بضم الميم، في هذا الموضع والمواضع الآتية،
أخذاً من الفعل المزيد (أخرج)، ويجوز أن يؤخذ من (خرج) فيكون بفتح الميم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من طبعة عبدالسلام محمد هارون للكتاب، وأثبتها من طبعة
بولاق للكتاب (٢/٤٠٥).



ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والذال والطاء.
ومما بين طرف اللسان وفُوقِ الثنايا: مخرج الزاي والسين والصاد.
ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والطاء.
ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.
ومما بين الشفتين: مخرج الباء والميم والواو.
ومن الخياشيم: مخرج النون الخفيفة^(١).

وسباق ترتيب الحروف في المخارج يتفق مع ترتيبها الذي ذكره سيبويه في أول الباب سَوَى موضع الضاد الذي جاء متقدماً في الترتيب على (ج ش ي)، وجاء متأخراً عنها في ترتيب المخارج، وسوى ترتيب حروف المخرج الأول حيث تقدّمت الألف على الهاء في الترتيب، وتقدّمت الهاء عليها عند ذكرها في المخرج.

وهناك مجال للموازنة بين ترتيب الحروف والمخارج عند الخليل، وترتيبها عند سيبويه، لكن الدخول في تفاصيل ذلك هنا يخرج بالبحث عن هدفه، وهو رصد الاتجاهات العامة في الترتيب من غير تناول دقائق الاختلاف بالمناقشة والتحليل.

(٣) مذهب الجَزْمِيِّ (أبو عَمَرَ صالح بن إسحاق ت ٢٢٥هـ)^(٢):

لم يُعَرَفْ أن هناك ترتيباً لمخارج الحروف يخالف ترتيب الخليل

(١) الكتاب (٤/٤٣٣ - ٤٣٤).

(٢) الجَزْمِيُّ، من طبقة سيبويه، وَلَقِيَ الخليل ويونس شَيْخَيْ سيبويه، لكنه لم يأخذ الكتاب عن سيبويه مباشرة، بل أخذَه عن الأَخْفَش، واختصر الجَزْمِيُّ الكتاب، وَفَضَّلَ الرياشي مختصر الجَزْمِيِّ على كتاب الأَخْفَش في النحو. ينظر: الحلبي، مراتب النحويين ص ٢٤ و ١٢٢، والسيرافي، أخبار النحويين البصريين ص ٧٢ - ٧٤، والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ص ٧٤ - ٧٥، والقفطي، إنباه الرواة (٢/٨١).

وسيبيويه، وكلُّ ما اشتهر في الكتب هو أنَّ الجَزْمِيَّ وعدداً آخر من معاصريه كانوا يعدُّون مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً، ويجعلون اللام والراء والنون من مخرج واحد.

وقد أضاف الإمام المبارك بن الحسن الشَّهْرَزُورِيُّ (ت ٥٥٠هـ) اللثام عن ترتيب مخالف لترتيب سيبويه للمخارج، نسبه إلى أبي عَمَرَ الجَزْمِيَّ، بالإضافة إلى كونه يَعدُّ المخارج أربعة عشر مخرجاً، وهذا أمر في غاية الأهمية، لأنه يضع في أيدينا وثيقة تاريخية تُؤَصِّلُ للترتيب الذي اعتمده معظم الدارسين المحدثين للأصوات، وترجع به نحواً من ألف ومئتي سنة!

ذكر الشهرزوري في كتابه (المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر) مخارج الحروف مرتين، الأولى: في باب الإدغام على مذهب سيبويه، والثانية: في باب التجويد على مذهب الجَزْمِيَّ.

قال في باب الإدغام: «اعلم أنه قد ذكر اليزيدي وغيره أصول الإدغام عن أبي عمرو مُجَمَّلَةً لا يُدْرِكُ تفاصيلها ولا القياس عليها إلا مَنْ عرف مخارج الحروف، فيعرف ما يتقارب منها وما يأنلف وما يتباعد منها وما يختلف، واعلم أن الحروف العربية مهموسها، ومجهورها، ومُطَبَّقُهَا، ورِخْوُهَا، ومُتَفَشِّئُهَا، وشديدها، وحروف الصفير، وحروف المد واللين تسعة وعشرون حرفاً، لها ستة عشر مخرجاً، للحلق منها ثلاثة مخارج: أقصاهن الهمزة... والمخرج الخامس عشر: من الشفتين الميم والباء والواو، والمخرج السادس عشر: من الخياشيم النون الخفيفة.

ونحن إن شاء الله نبسط الكلام في مخارج الحروف في باب التجويد، إذ الحاجة هناك إليه أوفى، وقد أشرنا إليه هاهنا لأنه الأعدل به»^(١).

ووفَّى الشهرزوري بما وَعَدَ، فذكر مخارج الحروف مرة أخرى في

(١) المصباح الزاهر (١/٤٣٠ - ٤٣٤).



باب التجويد، لكنه ذكرها على مذهب الجَزْمِيِّ، وهو ما يَهْمُنَا تسليط الضوء عليه هنا، فقال: «يُضْطَرُّ الْقَارِئُ بِالْإِدْغَامِ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَمَوَاضِعَهَا مِنَ الصَّدْرِ، وَالْحَلْقِ، وَاللِّسَانِ، وَالْفَمِّ، وَالشَّفَتَيْنِ، وَالْخِيَاشِيمِ، فَيُذْغِمُ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِأَصُولِ الْإِدْغَامِ، فَيَقْرُبُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ مَا بَعْدَ.

واعلم - أيُّدُكَ اللهُ - بتوفيقه أن النحويين قد جَنَسُوا حُرُوفَ الْمَعْجَمِ أَجْنَاساً لَا يُخَافُ مَعَهَا التَّبَاسُأَ، وَجَعَلُوا لِكُلِّ جِنْسٍ مِنْهَا حَيَرًا، وَفَصَّلُوا ذَلِكَ تَفْصِيلاً مُهِمًّا، وَلَقَّبُوا جَمِيعَهَا أَلْقَاباً، وَجَعَلُوهَا أَصُولاً وَأَبْوَاباً، فَإِذَا ثَبِتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ حُرُوفَ الْمَعْجَمِ - مَهْمُوسَهَا، وَمَجْهُورَهَا، وَمُطَبَّقَهَا، وَمُنْفَتِحَهَا، وَشَدِيدُهَا، وَرِخْوُهَا، وَحُرُوفُ الصَّفِيرِ، وَالتَّفْشِيِّ، وَالْقَلْقَلَةِ، وَحُرُوفُ الْمَدِّ وَاللِّينِ، وَحُرُوفُ الْحَلْقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَجْنَاسِهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَمَرَ الْجَزْمِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَخْرَجاً:

فَمِنَ الشَّفَتَيْنِ: مَخْرَجُ الْوَاوِ وَالْبَاءِ^(١) وَالْمِيمِ.

وَمِنَ بَاطِنِ الشَّفَةِ السُّفْلَى: الْفَاءُ، وَهِيَ أَيْضاً مِنْ أَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا.

وَمِنَ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا: مَخْرَجُ الظَّاءِ وَالثَّاءِ وَالدَّالِ.

وَأَدْخَلَ مِنْ ذَلِكَ قَلِيلاً إِلَى ظَهْرِ اللِّسَانِ، وَيَتَّصِلُ بِأَصُولِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا: مَخْرَجُ الطَّاءِ وَالدَّالِ وَالتَّاءِ.

وَأَدْخَلَ مِنْ ذَلِكَ قَلِيلاً إِلَى ظَهْرِ اللِّسَانِ: مَخْرَجُ الصَّادِ وَالسِّينِ وَالزَّايِ.

وَمِنَ طَرَفِ اللِّسَانِ: مَخْرَجُ الرَّاءِ وَاللَّامِ وَالنُّونِ الْمُتَحَرِّكَةِ وَالسَّاكِنَةِ الْمَيِّتَةِ.

وَمِنَ إِحْدَى حَافَتِي اللِّسَانِ: مَخْرَجُ الضَّادِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَكَلَّفُهَا مِنْ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ (وَالْبَاءِ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَوَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ التَّصْحِيفَاتِ فِي النَّصِّ الَّذِي نَقَلْتُهُ مِنَ الْكِتَابِ، لَمْ أَشِرْ إِلَيْهَا لِظُهُورِ الصَّوَابِ فِيهَا.

الجانب الأيمن، ومنهم مَنْ يَتَكَلَّفُهَا مِنَ الجانب الأيسر، ومخرجها من أحدهما كمخرجها من الآخر.

ومن فوق مخرج الراء: مخرج الياء والجيم والشين.

ومن أدخل من ذلك قليلاً: مخرج الكاف.

ومن أصل اللسان: مخرج القاف.

ومن أول الحلق وأدناه إلى الفم: مخرج الغين والحاء.

ومن وسط الحلق: مخرج العين والحاء.

ومن أقصى الحلق: مخرج الهمزة والهاء والألف.

ومن الخياشيم: مخرج النون الخفيفة.

وذكر سيبويه أَنَّ لهذه الحروف ستة عشر مخرجاً، ولم يخالف هذا الترتيب، وقد ذكرنا ذلك الذي ذكره سيبويه في باب الإدغام^(١).

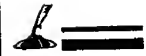
وكانت المصادر قد نسبت إلى الفراء (ت ٢٠٧هـ)، وقُطْرُب (ت ٢٠٦هـ)، والجزمي (ت ٢٢٥هـ)، وابن كيسان (ت ٢٩٩هـ)، القول بأنّ مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً، بجعل اللام والنون والراء من مخرج واحد^(٢)، ولم يرد في نص صريح ما يؤكد هذه النسبة إلى هؤلاء، لكن النص الذي نقله الشهرزوري عن الجزمي جاء ليؤكد مسألتين:

الأولى: عدّ المخارج أربعة عشر مخرجاً.

والثانية: ترتيب المخارج ترتيباً تنازلياً، وهذه المسألة أكثر أهمية من الأولى، لعدم ورودها في أي من المصادر من قبل.

(١) المصباح الزاهر (٢١١/٢ - ٢١٢).

(٢) ينظر: مكّي، الرعاية ص ٢٤٣، الداني، التحديد ص ١٠٤، وابن الجزري، النشر (١٩٨/١).



□ المرحلة الثانية: الترجيح بين المذاهب:

اشتغل العلماء في الحقبة التي تلت ظهور المذاهب الثلاثة التي ذكرتها بتبني أحدها وترجيحه على ما سواه، وامتدت هذه المرحلة عدة قرون، إلى أن أعاد علماء التجويد المتأخرون النظر في المذاهب المذكورة وخرجوا من خلال ذلك بمذهب جديد يجعل المخارج سبعة عشر مخرجاً، وساد هذا المذهب في القرون المتأخرة أكثر من غيره.

وسوف أشير بإيجاز إلى ما آلت إليه المذاهب الثلاثة في هذه الحقبة:

(١) كان مذهب سيويه أكثر المذاهب الثلاثة شيوعاً، وَرَجَّحَهُ عدد من العلماء على غيره، سواء من علماء العربية أو علماء التجويد. فأخذ به ابن السراج (ت ٣١٦هـ)^(١)، والزرجاني (ت ٣٤٠هـ)^(٢)، والزبيدي (ت ٣٧٩هـ)^(٣)، وابن جني (ت ٣٩٢هـ)^(٤)، الذي صرَّح أن ترتيب سيويه للحروف أصح من ترتيب كتاب العين، فقال بعد أن ذكر الحروف مرتبة على نحو ما رتبها سيويه: «فهذا هو ترتيب الحروف على مَذَاقِهَا وَتَصَعُّدِهَا، وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خَطْلٌ واضطراب، ومُخَالَفَةٌ لِمَا قَدَّمْنَا آنفًا مما رتبته سيويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته»^(٥).

واختار علماء التجويد الأوائل الذين ظهرت مؤلفاتهم في القرن الخامس الهجري مذهب سيويه، فقال مكِّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «اعلم أن سيويه وأكثر النحويين يقولون: إن للحروف ستة عشر مخرجاً»^(٦).

(١) الأصول (٣/٣٩٩)، والموجز ص ١٦٥.

(٢) الجمل ص ٤١٠.

(٣) الواضح ص ٢٨١.

(٤) سر صناعة الإعراب (١/٥٣).

(٥) المصدر نفسه (١/٥٠ - ٥١).

(٦) الرعاية ص ٢٤٣.

وقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): «وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو الصحيح المَعُولُ عليه»^(١). وتابعهما عبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ)^(٢)، وأبو العلاء العطار (ت ٥٦٩هـ)^(٣).

ونحا هذا النحو كثير من النحاة المتأخرين، مثل الزمخشري (ت ٥٣٩هـ) في المفصل^(٤)، والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) في مفتاح العلوم الذي قال فيه: «ومخارجها عند الأكثر ستة عشر»^(٥)، والأسترآبادي (ت ٦٨٦هـ) في شرح الشافية، الذي قال فيه: «وأحسن الأقوال ما ذكره سيبويه، وعليه العلماء بعده»^(٦)، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في ارتشاف الضرب الذي قال فيه: «والمخارج ستة عشر، خلافاً لِقُطْرُبِ والجَزْمِيِّ والفَرَاءِ وابن دريد في زعمهم أنها أربعة عشر، ومحل الخلاف هو مخرج اللام والنون والراء، فمذهب هؤلاء أنه مخرج واحد، ومذهب الجمهور أنها ثلاثة مخارج، وهو الصحيح لتباينها عند الاختبار»^(٧)، وأخذ بمذهب سيبويه أيضاً المرادي (ت ٧٤٩هـ) الذي قال: «وجملة مخارجها عند سيبويه وأكثر المحققين ستة عشر مخرجاً»^(٨).

(٢) ولم يحظ مذهب الخليل في المخارج بما حظي به مذهب

(١) التحديد ص ١٠٢.

(٢) الموضح ص ٧٨.

(٣) التمهيد ص ٢٧٧.

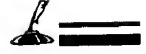
(٤) المفصل ص ٥٤٦.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٢.

(٦) شرح الشافية (٣/٢٥٤).

(٧) ارتشاف الضرب (٤/١ - ٥)، ولم أجد في جمهرة اللغة لابن دريد ما يشير إلى أنه يعد المخارج أربعة عشر مخرجاً، وقد صرح أن المخارج ستة عشر. الجمهرة (٤٥/١)، لكنه وصف اللام والراء والنون بأنها مذلفة (الجمهرة (٤٥/١) متابعاً في ذلك الخليل.

(٨) المفيد ص ٤١.



سيبويه، لكنه ترك أثره في طريقة تناول الموضوع لدى المتأخرين خاصة، أما المتقدمون فبعضهم اكتفى بنقل ما ورد في العين، مثل أبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في مقدمة تهذيب اللغة^(١). وبعضهم ذكر مذهب الخليل مع مذهب سيبويه، كما فعل العُماني (من علماء القرن الخامس) في كتابه الأوسط في القراءات، مُقَدِّمًا مذهب الخليل على غيره، فقال في باب مخارج الحروف: «وكان الخليل بن أحمد يَقْسِمُ مخارجها على تسعة أقسام: الحَلَق، واللهاء، والشَّجر، والأسلة، والنُّطع، واللَّثة، والدُّوَلق، والشَّفة، والهواء».

الحَلَقِيَّة: ع ح هـ خ غ، وهذه حَلَقِيَّة... فهذا عدد المخارج على ترتيب الخليل.

ثم اختلف النحويون بعدُ في مخارجها على غير ترتيب الخليل، فكان سيبويه يجعل للحروف ستة عشر مخرجًا، وكان الجَرْمِيّ وابن كيسان يجعلان لها أربعة عشر مخرجًا، وليس بينهم خلاف إلا في الراء واللام والنون، وذلك أن سيبويه جعل لكل واحد منها مخرجًا، والجَرْمِيّ وَمَن وافقه جعلوهن من مخرج واحد.

ترتيب المخارج على ما ذكره ابن مجاهد^(٢)، وهو مذهب سيبويه وأكثر النحويين...»^(٣).

ونحا ابن أبي مريم الشيرازي (ت ٥٦٥هـ) منحى العُماني في ذكر

(١) تهذيب اللغة (٤٠/١، ٤١).

(٢) ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر البغدادي، شيخ الصنعة في القراءات، وأوّل مَنْ سَبَّع السبعة، ولد سنة ٢٤٥هـ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ، من مؤلفاته، السبعة في القراءات. ينظر: الذهبي، معرفة القراء (٥٣٣/٢)، وابن الجزري، غاية النهاية (١٣٩/١).

(٣) الكتاب الأوسط ص ٨١ - ٨٣.

المذهبيين، لكنه بدأ بذكر مذهب سيويه في فصل مستقل^(١)، ثم ذكر مذهب الخليل في فصل آخر مستقل أيضاً جعل عنوانه: (في أحياز الحروف التي تخرج منها ونسبتها إليها)^(٢).

وتأثر بعض العلماء بمذهب الخليل في عدّ حروف المد واللين هوائية أو جوفية، فأخرج الألف من حروف الحلق، كما قال مكّي: «فأما الحروف التي تخرج من الحلق فستة: ء ه ح ع خ غ، وقد زاد قوم الألف»^(٣). وقال شريح بن محمد الرّعيني (ت ٥٣٩هـ) في كتابه (نهاية الإتيان في تجويد القرآن): «حروف الحلق ستة... وأما الألف فهي هوائية، ويقال أيضاً: إن مخرجها بعد مخرج الهمزة، لأن الصوت ينقطع عنده، والواو والياء هوائيان عند الخليل، والياء شجرية عند سيويه والواو شفوية»^(٤).

وقد انتهى الأمر بعلماء التجويد المتأخرين إلى التمييز بين مخرج حروف المد ومخرج حروف اللين، وجعلوا المخارج سبعة عشر مخرجاً، كما سنبين في الفقرة الآتية، إن شاء الله.

(٣) أما مذهب الجزمي، فإن أغلب من ذكره اكتفى بالإشارة إليه إشارة موجزة من غير سرّد للمخارج^(٥)، إلا القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (من علماء القرن الرابع)، الذي عقد باباً لمخارج الحروف في آخر كتابه دقائق التصريف اتبع فيه مذهب الجزمي في عدد المخارج وترتيبها، من غير أن يصرح باسمه، وحصل اضطراب في تتابع المخارج، وسقط الباء من المخرج الأول، وسقط مخرج الضاد، ومخرج الطاء والذال والتاء. ولكن

(١) الموضح (١/١٦٣).

(٢) المصدر نفسه (١/١٨١ - ١٨٣).

(٣) الكشف (١/١٣٩).

(٤) نهاية الإتيان ٢٤٠، ٦٠.

(٥) ينظر: العماني، الكتاب الأوسط ص ٨٣، والداني، التحديد ص ١٠٤، وعبدالوهاب القرطبي، الموضح ص ٧٩، والسيوطي، همع الهوامع (٢/٢٢٨).



لأهمية ما ذكره المؤدّب في تأكيد شهرة هذا المذهب بين العلماء في القرون المبكرة سوف أنقل بعض ما قاله في الموضوع.

قال المؤدّب: «ولحروف العربية أربعة عشر مخرجاً:

فمخرج الواو والميم من الشفتين.

ومخرج الجيم والشين والياء من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك.

ومخرج الظاء والطاء والذال بين طرف اللسان وأطراف الثنايا . . .

وقال سيبويه: مخارج حروف العربية ستة عشر مخرجاً، وإنما صارت ستة عشر في قوله، لأنه فَرَّقَ بين مخرج اللام والنون والراء، وغيره جعل مخرجها كلها من موضع واحد، وهو وسط اللسان»^(١).

□ المرحلة الثالثة: إعادة صياغة نظرية ترتيب المخارج وعددها:

كان الخليل قد جعل للواو والياء والألف حَيِّزاً واحداً هو الجَوْفُ، وسَمَّاها جوفية وهوائية، سواء كانت حروف مدّ أو كانت الواو والياء حَرْفِي لَيْنٍ، وجعل سيبويه الألف من أقصى الحلق، والياء من وسط اللسان، والواو من الشفتين، سواء كانا حرفي مد أو حرفي لين.

وحاول بعض المتأخرين الجمع بين مذهبي الخليل وسيبويه في تحديد مخارج الحروف الثلاثة، فجعلوا ما ذكره الخليل للمدية، وجعلوا ما ذكره سيبويه للَيِّنَةِ، ومن هؤلاء محمد بن محمود السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت ٧٨٠هـ)، فقال بعد أن ذكر مخارج الحروف على مذهب سيبويه: «وقيل: إن الألف والواو والياء إذا سكنتا وتحرك ما قبلهما بجنسهما جَوْفِيَّةٌ، أو هوائية، أو هاوية، لأنها لا تقع في الأحياز التي ذكرناها فتُنَسَّبُ إليها، لكنها تخرج من الجوف، فتذهب في هواء الفم. والأصح أن الألف من هواء الحلق، والياء

(١) دقائق التصريف ص ٥٤٧ - ٥٤٨.

الساكنة المكسور ما قبلها من هواء وسط الفم، والواو الساكنة المضموم ما قبلها من هواء الشفة، والياء المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شَجْرِيَّة، والواو المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شفوية»^(١).

واتضحت فكرة الجمع بين المذهبين لدى ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) الذي أخذ مخرج الحروف الجوفية من الخليل وأضافه إلى مخارج سيبويه وعدَّ المخارج سبعة عشر مخرجاً، فقال في كتاب (التمهيد في علم التجويد): «مخارج الحروف عند الخليل سبعة عشر مخرجاً، وعند سيبويه وأصحابه ستة عشر، لإسقاطهم الجوفية»^(٢).

ورجَّح ابن الجزري هذا المذهب الجديد في كتابه النشر، فقال: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا وعند مَنْ تقدَّمنا من المحققين: كالخليل بن أحمد، ومكي بن أبي طالب، وأبي القاسم الهذلي، وأبي الحسن شريح وغيرهم»^(٣)، سبعة عشر مخرجاً، وهذا الذي يظهر من حيث الاختبار... وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر فأسقطوا مخرج الحروف الجَوْفِيَّة التي هي حروف المد واللين...»^(٤).

وأدرج ابن الجزري اختياره هذا في منظومته المشهورة بالمقدمة الجزرية في علم التجويد، حيث قال:

مَخَارِجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةٌ عَشْرٌ عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنْ اخْتَبَرَ
فَأَلِفُ الْجَوْفِ وَأُخْتَاهَا وَهِيَ حُرُوفُ مَدٍّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِي

(١) روح المريد في شرح العقد الفريد ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) التمهيد ص ١١٣.

(٣) لم يُصَرِّح أحد من هؤلاء العلماء بأن المخارج سبعة عشر، لكن يفهم من كلامهم في بعض المواضع أنهم يجعلون مخرج حروف المد من الجوف، متابعين في ذلك مذهب الخليل. ينظر: مكي، الرعاية ص ١٣٩ و ١٤٢، والهذلي، الكامل ص ٣٤٨، وشريح الرعيني، نهاية الإتيان ٢٤، و ٦.

(٤) النشر (١/١٩٨).



وانتصر شُرَّاحُ المقدمة الجزرية لهذا المذهب متابعين ناظمها في ذلك.

واجتهد محمد المرعشي في توضيح هذا المذهب في عدد المخارج، فقال: «اعلم أن في عددها اختلافاً بين العلماء، والمختار عند الجمهور أنها سبعة عشر»^(١). ووَصَفَ الياء التي تخرج من وسط اللسان مع الجيم والشين بأنها الياء غير المدية^(٢). والواو التي تخرج من الشفتين بالواو غير المدية^(٣). وقال: إن مخرج جَوَفِ الحلق والفم تخرج منه حروف المد، «وَجَعْلُ مخرج حروف المد جَوَفِ الحلق والفم هو مسلك الجمهور، لأن سيبويه جعل الألف من مخرج الهمزة، والواو والياء المَدِّيَّين من مخرجيهما غير مَدِّيَّين»^(٤)، ومن ثم فإنه يُعَدُّ حروف العربية واحداً وثلاثين حرفاً^(٥).

وتابع المؤلفون في علم التجويد من المعاصرين مذهب ابن الجزري في عَدِّ المخارج سبعة عشر، وفي تخصيص مخرج مستقل لحروف المد هو الجَوَفِ، باعتباره مذهب الجمهور^(٦).

ولا شك في أن هذا المذهب ينبنى على فكرة صحيحة أيدها الدرس الصوتي الحديث، وهي فكرة التفريق بين مخرج الأصوات المَصَوِّتَةِ أو الذائبة (أي: حروف المد)، ومخرج الواو والياء إذا كانا صامتين أو جامدين، بأن يكونا مُحَرِّكَيْنِ أو ساكنين بعد فتح، لكن الدرس الصوتي الحديث فَصَّلَ مخارج المَصَوِّتَاتِ عن مخارج الصوامت.

(١) جهد المقل ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٧.

(٥) ينظر: بيان جهد المقل ص ٣٢.

(٦) ينظر: عبدالفتاح المرصفي، هداية القاري (٦٥/١)، وأحمد الطويل، فن الترتيل وعلومه (٥٥٩/٢)، وحسني شيخ عثمان، حق التلاوة ص ٤٣٣، ومحمد شحادة الغول، بغية عباد الرحمن ص ١٤٧، وأحمد خالد شكري وزملاؤه، المنير ص ١٠٥.

المبحث الثاني

عَدَدُ المَخارجِ وَتَرْتِيبُهَا في الدرس الصوتي الحديث

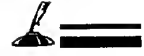
وقع الدرس الصوتي العربي الحديث تحت تأثير عاملين:
الأول: كتابات المستشرقين وما ترجم من كتب الغربيين في علم اللغة^(١).

والثاني: الاتصال المباشر بالدرس الصوتي الغربي من خلال الدراسة في الجامعات الغربية، ويتفاوت الدارسون في مقدار التأثير بهذين العاملين، ولا شك في رواد الدراسة الصوتية العربية جميعهم مصريون، ومعظمهم درسوا في جامعات الغرب، ومن ثم تأثروا بما درسوه وحاولوا أن يُطَبِّقُوهُ في بحوثهم حول أصوات اللغة العربية.

ويكاد الدارسون المُحَدِّثُونَ لمخارج حروف العربية يتفقون على أمرين:
الأول: عدّ مخارج حروف العربية عشرة، وقد يزيد بعضهم مخرجاً، وينقص آخر مخرجاً.

الثاني: ترتيب المخارج ترتيباً تنازلياً يبدأ بالشفيتين، وينتهي بالحنجرة أو أقصى الحلق.

(١) من أقدمها ما تضمنه كتاب (التطور النحوي للغة العربية) للمستشرق الألماني برجستراسر، وكتاب (اللغة) للغوي الفرنسي ج. فندريس.



ويبدو أن أول كتاب حديث في الأصوات اللغوية العربية هو كتاب (الأصوات اللغوية) للدكتور إبراهيم أنيس الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٧ م. ويليه كتاب (مناهج البحث في اللغة) للدكتور تمام حسان، الذي صدر سنة ١٩٥٥ م، ثم كتاب (علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي) للدكتور محمود السعران، سنة ١٩٦٢ م، وكتاب (أصوات اللغة) للدكتور عبدالرحمن أيوب، سنة ١٩٦٣ م، وكتاب (علم اللغة العام: قسم الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر، سنة ١٩٦٩ م، ثم تابعت الكتب والدراسات حول أصوات العربية.

وسوف أعرض وجهة نظر المحدثين في عدد مخارج الحروف العربية وترتيبها من خلال تتبع ذلك عند أشهر أعلام الدرس الصوتي الحديث.

□ أولاً: مخارج حروف العربية عند الدكتور إبراهيم أنيس:

لم يتتعد الدكتور إبراهيم أنيس كثيراً عن طريقة تناول علماء العربية لمخارج الحروف، سوى أنه بدأ بأصوات الشفتين، وعدَّ اللام والراء والنون من مخرج واحد، وقدّم بعض المخارج على بعض، وخصّص الفصل الرابع من كتابه (الأصوات اللغوية) لمخارج الأصوات (الصامتة) وصفاتها، وهو يستغرق الصفحات (٤٤ - ١٠٤) من الطبعة الرابعة للكتاب، ورتَّب الأصوات في مجموعات حسب مخارجها على هذا النحو:

- (١) الأصوات الشفوية: ب م.
- (٢) الصوت الشفوي الأسناني: ف.
- (٣) المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج، وهي:
 - (أ) الذال والطاء والظاء.
 - (ب) الدال والضاد والطاء.
 - (ت) اللام والراء والنون.
 - (ث) السين والزاي والصاد.

وقال الدكتور إبراهيم أنيس عن هذه المجموعة: «وجه الشبه بين كل هذه الأصوات أن مخرجها تكاد تنحصر بين أول اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها)، على أنه رغم تقارب مخرجها تُفَرَّقُ بينها صفات صوتية متباينة تحتم علينا تقسيمها إلى مجاميع فرعية يشترك أفرادها في المخرج»^(١).

(٤) أصوات وسط الحنك: الشين والجيم.

(٥) أصوات أقصى الحنك: الكاف والقاف.

(٦) الأصوات الحلقيّة: الغين والحاء، والعين والحاء، والهمزة والهاء.

وقال عن هذه المجموعة: «والمحدثون من علماء الأصوات اللغوية لم يحاولوا حتى الآن تحديد وظيفة الحلق بين أعضاء النطق، ولعل البحوث في المستقبل تكشف لنا عن أسرار جديدة لأصوات الحلق»^(٢). ومن ثم فإن معالجة الدكتور أنيس لمخارج حروف هذه المجموعة لم تبتعد عما قاله علماء العربية عنها من قبل، ومن المفيد نقل ما قاله عن مخرج الغين والحاء، لأنه سيكون موضع جدل عند من جاء بعده من المحدثين، وهو قوله: «الغين: صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم، فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم، وهناك يضيق المجرى فيُخَدِّثُ الهواء نوعاً من الخفيف، وبذلك تتكون الغين».

الحاء: تشترك مع الغين في كل شيء، غير أن الغين صوت مجهور نظيره المهموس هو الحاء...»^(٣).

(١) الأصوات اللغوية ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٨٨.

(٣) الأصوات اللغوية ص ٨٨.



ولم يدرج الدكتور أنيس الواو ضمن حروف الشفة، والياء ضمن حروف وسط الحنك، لأنه تناولهما عندما تحدث عن مخارج حروف اللين، سالكاً مسلك الخليل على ما يبدو.

□ ثانياً: مخارج الحروف لدى الدكتور تمام حسان:

عالج الدكتور تمام حسان موضوع مخارج الحروف في كتابه (مناهج البحث في اللغة)، لكنه نحا منحى يتعد عن منهج علماء العربية، بل هو ينتقد ذلك المنهج، متأثراً على ما يبدو بالدرس الصوتي الغربي حيناً، وبعدم وضوح موقفهم لديه أحياناً، يتضح ذلك من قوله: «المخرج: مكان النطق، ويمكن أن نحصر المخارج والصفات التي تستخدمها العربية الفصحى في التمييز بين أصواتها... والمخارج التي نذكرها هنا تختلف إلى حد ما عن تلك التي توجد في علم التجويد والقراءات اختلافاً اقتضاه منهج البحث الحديث، وسنشير عند كل نقطة من نقاط الخلاف بين هذه المخارج وتلك إلى وجه النقص الذي نراه في وجهة نظر النحاة والقراء.

هذه المخارج هي:

- ١ - شفوي Bi-labial: ويكون بتقريب المسافة بين الشفتين بضمهما، أو إقفالهما في طريق الهواء الصادر من الرئتين.
- ٢ - شفوي أسناني Labio-dental: هو نتيجة اتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا لتضييق مجرى الهواء.
- ٣ - أسناني Dental: مبني على اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا.
- ٤ - أسناني لثوي Dental-alveolar: وهو ما اتصل طرف اللسان فيه بالأسنان العليا، ومقدمة اللسان باللثة، وهي أصول الثنايا.
- ٥ - لثوي Alveolar: وهو ما اتصل فيه طرف اللسان باللثة أثناء النطق.
- ٦ - غاري Palatal: وهو الذي تحدث فيه صلة بين مقدم اللسان وبين الغار (وهو الحنك الصلب الذي يلي اللثة).

٧ - طبقي Velar: وهو ما نتج عن اتصال مؤخر اللسان بالطبق (وهو الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم).

٨ - لهوي Uvalar: وهو ما اتصل فيه مؤخر اللسان باللهاء (وهي آخر جزء من مؤخر الطبقة).

٩ - حَلْقِي Pharyngeal: ونقصد به المخرج الناتج من تضيق الحلق.

١٠ - حنجري Glottal: وهو نتيجة الإقفال أو التضيق في الأوتار الصوتية التي في قاعدة الحنجرة.

ولقد خلط النحاة العرب خلطاً كبيراً في تحديد هذه المخارج، وحسبك أن ترى ابن الجزري يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها، حتى إذا عدّ سبعة عشر مخرجاً وجدناه يُسمّى النون مرة ذلقية لأنها تخرج من ذلقة اللسان، ومرة أخرى خيشومية لأنها تنطق في تجويف الفم [كذا] وهو الخيشوم، ومرة ثالثة يقول: إنها من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا، فهو بهذا يُعطي النون مخرجاً خاصاً حيناً، ويجمعها مع الرء واللام حيناً، ويضمها إلى الميم في مخرج حيناً آخر.

ثم يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء والغين والكاف، والطاء والذال والتاء، فيقول: إن صوتي الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم وراء مخرج القاف، مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبقة أمام مخرج القاف. وهو يجعل الكاف خلف القاف، والعكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوتي الخاء والغين، ثم هو يقول: إن الأصوات الثلاثة الأخيرة نطعية، ويقصد أنها من نطق الغار (ونسمة في هذا الكتاب الغار)، والصحيح أنها أسنانية لثوية^(١).

ويتضح من قراءة ما كتبه الدكتور تمام حسان في هذا النص عن مخارج الحروف أمران:

(١) مناهج البحث في اللغة ص ٨٤ - ٨٦.



الأول: تأثره بالترتيب المخرجي للأصوات عند الغربيين، فمصطلحاته تمثل مخارج أصوات الإنكليزية، مع إضافة بعض المخارج التي اختصت بها العربية.

الثاني: مسارعه إلى تخطيط علماء العربية والتجويد في تحديد مخارج عدد من الأصوات، وبعضها يحتمل تعدد وجهات النظر، وبعضها ناتج عن قراءة غير دقيقة لكلامهم، وتتلخص ملاحظاته حول مخرج النون، والغين والخاء، والطاء والتاء والذال.

أما النون، فلا يخفى على القارئ أنها تتميز هي والميم من بين أصوات اللغة بأنها أصوات أنفية لها معتمد في الفم ومجرى للنفس من الأنف، وهي توصف بأنها ذلقية نسبة إلى ذلق اللسان، وهو طرفه، سُميت بذلك لأن طرف اللسان يعتمد على اللثة عند النطق بها، كما أنها توصف بأنها صوت أغن أو أنفي لِما يصاحبها من خروج النفس من تجاويف الأنف أو الخياشيم، ولا أحسب أن هذا كان غائباً عن الدكتور تمام حسان، لكنه على ما يبدو غاب عنه مقصد ابن الجزري.

وأما الطاء والتاء والذال، فيمكن أن توصف بأنها نطعية، والنَّطْعُ مُقَدَّم الحنك، وهو قريب من اللثة، وقد وصف بعض الدارسين هذه الأصوات بأنها لثوية، ووصفها البعض بأنها أسنانية لثوية، فمخرج هذه الحروف لا يخلو من تعدد في وجهات النظر.

أما عُدُ مخرج الغين والخاء من مخرج الكاف فقد ذهب إلى ذلك عدد من الدارسين المحدثين، مخالفين في ذلك علماء العربية والتجويد، وسوف أناقش هذه المسألة لاحقاً.

□ ثالثاً: وجهات نظر أخرى حديثة في مخارج الحروف:

تتابعت الدراسات الحديثة حول أصوات اللغة العربية، ولم يخرج معظم مؤلفيها عما أورده الدكتور تمام حسان في ترتيب مخارج حروف

العربية، وربما زاد بعضهم موضعاً أو مخرجاً، وربما نقص موضعاً، وهذه إشارة إلى عدد من تلك الدراسات:

(١) جعل الدكتور محمود السعران مواضع النطق الأساسية للأصوات في لغات العالم أحد عشر موضعاً^(١).

(٢) وجعلها الدكتور عبدالرحمن أيوب عشرة مواضع^(٢).

(٣) وعدّها الدكتور أحمد مختار عمر أحد عشر موضعاً^(٣).

(٤) وقال الدكتور رمضان عبدالنواب: «وقد استخدمت العربية الفصحى عشرة مخارج في الجهاز النطقي، هي بالترتيب ...

تلك هي مخارج الأصوات في العربية الفصحى كما تدل عليها تجارب معامل الأصوات في وقتنا الحاضر... وبيننا وبين قدامى اللغويين من العرب خلاف في عدد المخارج للأصوات العربية، وفي تحديد مخارج بعض الأصوات، فعندنا الآن أن:

١ - الأصوات الشفوية هي: ب م و.

٢ - والشفوية - الأسنانية هي: ف.

٣ - والأسنانية هي: ذ ظ ث.

٤ - والأسنانية اللثوية هي: د ض ت ط ز س ص.

٥ - واللثوية هي: ل ر ن.

٦ - والغارية هي: ش ج ي.

٧ - والطبقية هي: ك غ خ.

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ١٥١.

(٢) أصوات اللغة ص ١٩٥.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ - ٢٧٣.



٨ - واللهوية هي: ق.

٩ - والحلقية هي: ع ح.

١٠ - والحنجرية هي: الهمزة والهاء.

هذا هو رأي المحدثين من علماء الأصوات في مخارج أصوات العربية الفصحى، مؤسساً على نتائج التجارب الصوتية، في المعامل وغيرها^(١).

(٥) وجعل الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح المخارج تسعة، لأنه جمع: الدال والتاء والطاء والضاد، والسين والصاد والزاي، واللام والنون والراء، في مخرج واحد^(٢).

(٦) وجعل الدكتور كمال بشر المخارج أحد عشر مخرجاً، فقدّم وأخّر في حروف المخارج (٤ و ٥ و ٦)، لكن ترتيبه للمخارج لم يخرج عن النسق الذي سار عليه المحدثون^(٣).



(١) المدخل إلى علم اللغة ص ٣٠ - ٣١.

(٢) دراسة السمع والكلام ص ١٧٤.

(٣) علم الأصوات ص ١٨٣ - ١٨٥.

الخاتمة

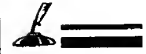
مناقشة واستنتاج

يمكن أن يخرج المتأمل لمذهب المتقدمين والمعاصرين في عدد المخارج وترتيبها بجملة ملاحظات ونتائج، منها:

(١) ترتيب المخارج ترتيباً تنازلياً يبدأ بالشفيتين وينتهي بالحنجرة وأقصى الحلق ليس جديداً في الدرس الصوتي العربي، واقتباس الدراسات الحديثة له من الدرس الصوتي الغربي مبني على عدم اطلاع المحدثين على كثير من تراثنا الصوتي العربي القديم، ومنه ترتيب الجَزْمِي للمخارج.

وكان الدكتور كمال بشر قد وصف الترتيب التصاعدي للمخارج بأنه ترتيب العرب الأقدمين، ونسب الترتيب التنازلي إلى الدراسات الصوتية الحديثة^(١)، ولم يكن ذلك عن موقف مسبق له تجاه الدرس الصوتي العربي القديم، فهو شديد الاعتزاز بما كتبه ابن جني وغيره من علماء العربية عن الأصوات، ولن يكون - في ما أحسب - أقل اعتزازاً بترتيب الجَزْمِي للمخارج ترتيباً تنازلياً لو كان قد اطلع عليه من قبل.

(١) علم الأصوات ص ١٨٩.



(٢) ذهب معظم الدارسين المحدثين إلى أن الترتيب القديم لحروف مخارج أدنى الحلق وأقصى اللسان لم يكن دقيقاً، وأعادوا ترتيبها على نحو آخر أدق بزعمهم من الترتيب القديم، ويمكن ملاحظة ذلك في الجدول الآتي:

ت	الترتيب القديم	الترتيب الجديد
١	ء هـ	ء هـ
٢	ع ح	ع ح
٣	غ خ	ق
٤	ق	غ خ ك
٥	ك	-

ويبدو أن الترتيب الجديد مبني على نظرة سريعة وملاحظة غير متفحصة لطبيعة نطق كل من (ق ك غ خ)، فهناك ما يدل على صحة الترتيب القديم لهذه الأصوات، ويمكن الاستدلال على ذلك بأمرين:

❑ الأول: تجربة سيبويه:

كان سيبويه قد استخدم تجربة عملية للاستدلال على أن موضع القاف أعمق في آلة النطق من موضع الكاف، فقال: «والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حَنْكَيْنِكَ فَبَالَعْتَ ثُمَّ قُلْتَ: قَقْ قَقْ، لَمْ تَرَ ذَلِكَ مُخْلًا بِالْقَافِ، وَلَوْ فَعَلْتَهُ بِالْكَافِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ حُرُوفِ اللِّسَانِ أَخْلَى ذَلِكَ بِهِنَّ»^(١).

ولو أننا طبّقنا هذه التجربة على الغين والخاء لوجدنا أن ذلك غير مُخِلٍّ

(١) الكتاب (٤/٤٨٠).

بهما، فلو أنك جافيت بين حَنَكَيْكَ وقلت (خ خ، غ غ) لأَمْكَنَكَ ذلك، ولو قلت: ك ك، لم تتمكن من النطق بالكاف، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الغين والخاء أعمق مخرجاً من الكاف.

ولو أنك بالغت في فتح الفم وتجاوفي الحنكين لأخْلُ ذلك بالقاف أيضاً إلى حد كبير، ولم تجد ذلك مخلاً بالغين والخاء.

وفي ذلك دلالة واضحة على صحة ترتيب علماء اللغة العربية وعلماء التجويد لأصوات أدنى الحلق وأقصى اللسان، وأن المحدثين أخطؤوا في تخطئتهم في هذا المجال.

□ الأمر الثاني: سلوك الغين والخاء:

إن سلوك الصوت في الاستعمال اللغوي ومقدار تأثيره بمجاوره يعتمد على القرب والبعد المخرجي في الغالب، فما تدانى في المخارج كان أكثر عرضة للتأثر بما يجاوره، ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى مخرج كل من الأصوات الأربعة (غ خ ق ك) من خلال مقدار تأثر النون الساكنة بها، فقد أجمع العلماء وأهل الأداء على أن حكم النون الساكنة عند القاف والكاف الإخفاء، وهي درجة بين الإظهار والإدغام، شأنهما في ذلك شأن ثلاثة عشر حرفاً أخرى تُخْفَى عندها النون الساكنة.

وذهب جمهور القراء وأكثر العرب على إظهار النون الساكنة قبل الغين والخاء، شأنهما في ذلك شأن حروف الحلق الستة، قال سيبويه: «وتكون [أي: النون الساكنة] مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بَيِّنَةً موضعها من الفم، وذلك أن هذه الستة تباعدت عن مخرج النون وليست من قبيلها فلم تُخَفَ ههنا كما لم تُدْغَم في هذا الموضع... وبعض العرب يُجْري الغين والخاء مجرى القاف»^(١). وروي

(١) الكتاب (٤/٤٥٤).



ذلك عن بعض القراء أيضاً^(١).

ولهذا دلالة واضحة على أن موضع الغين والخاء في آلة النطق أعمق من موضع القاف، وإن كانا يخرجان من أدنى الحلق إلى الفم.

وكل ذلك يدل على صحة مذهب علماء العربية والتجويد في تحديد مخرج الأصوات الأربعة، وضعف أو خطأ موقف دارسي الأصوات المحدثين في هذه المسألة.

(٣) مخارج المجموعة الكبرى لأصوات طرف اللسان:

هناك ثلاثة عشر صوتاً يشترك طرف اللسان في إنتاجها بالاستناد إلى الأسنان أو اللثة أو مقدم الحنك، وهي: (ل ن ر، ط د ت ض، س ص ز، ظ ذ ث)، ولم يختلف الدارسون من القدماء والمحدثين في تحديد مخرج الطاء والذال والثاء أنه من بين طرف اللسان وأطراف الشنبا، لكنهم اختلفوا في تحديد مخارج الحروف الأخرى.

ولم يختلف المتقدمون في مخارج هذه الحروف سوى أن جمهورهم يعدون اللام والنون والراء من ثلاثة مخارج وعدّها الجزمي ومَن وافقه من مخرج واحد، وكان الخليل بن أحمد قد عدّها من مخرج واحد، ووصفها بأنها دَلَقِيَّةٌ، ودَلَقُ اللسان طرفه، كما تقدّم.

وكان المتقدمون قد نَصُّوا على أن مخرج الضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، لكن المعاصرين جعلوا مخرجها من مخرج الطاء والذال والطاء، بناءً على النطق المعاصر للضاد عند مجيدي قراءة القرآن الكريم.

ونقطة الخلاف الجوهرية بين المتقدمين والمعاصرين في تحديد مخارج هذه المجموعة أن أكثر المعاصرين قد جعلوها من مخرج واحد، ولا شك

(١) ينظر: الداني، التحديد ص ١١١.

في إمكانية التمييز بين مخارج هذه المجموعات الثلاث، وذوق هذه الحروف يدل على صحة ترتيب علماء العربية والتجويد المتقدمين لها، ولم يُقدّم المعاصرون ما يدل دلالة قاطعة على خطأ هذا الترتيب، والأولى المحافظة عليه والأخذ به حتى يقوم دليل أكيد على خلافه.

(٤) هل يمكن بعد هذا العرض لمذاهب العلماء المتقدمين والمعاصرين في عدد مخارج الحروف العربية وترتيبها الخروج برأي راجح يمكن أن تجتمع عليه كلمة الدارسين، ويجري العمل على التحقق منه بالوسائل الحديثة لدراسة الأصوات، ويستند إلى تراثنا الصوتي العربي القديم ويستفيد مما حققه علم الأصوات المعاصر.

الجواب: أن ذلك مُمكنٌ، بل هو في متناول اليد، وهو لا يتعد كثيراً عما قرره علماء العربية الأوائل ولا يتعارض مع معطيات الدرس الصوتي الحديث، وينبني على مجموعة من الأسس والحقائق، في مقدّماتها:

(١) الأخذ بمذهب الجرمي في ترتيب المخارج ترتيباً تنازلياً، لا سيما أن هذا الترتيب هو المعتمد في الدرس الصوتي الحديث.

(٢) الإبقاء على ترتيب المخارج كما هو عند سيبويه مع ملاحظة الأمور الآتية:

أ - عدّ اللام والنون والراء من مخرج واحد، وقد أخذ بذلك عدد من المتقدمين، وهو يوافق ما أخذ به معظم المعاصرين.

ب - الإبقاء على ترتيب حروف أدنى الحلق وأقصى اللسان ومخارجها كما هي عند المتقدمين لضعف مذهب المعاصرين في ترتيبها أو خطئه.

ج - وضع الضاد مع الطاء والذال والطاء، بعد أن اختفى النطق القديم للضاد ولم يعد متحققاً في النطق المعاصر.

د - الاستغناء عن مخرج النون الخفية أو الخفيفة، لأنها من الأصوات الفرعية، والاكتفاء بمخرج النون الأصلية، على نحو ما أسقط ابن



الطحان (ت ٥٦٠هـ) مخرج النون الخفية من قبل^(١).

(٣) الفصل بين مخارج الحروف العربية الصَّامِتَةِ (الجامِدة) الثمانية والعشرين، ومخارج الحروف المُصَوِّتَةِ (أَي: حروف المد والحركات)، وهو ما يأخذ به الدرس الصوتي الحديث، ويتوافق مع التمييز بين الواو والياء المديتين وغير المديتين. فللمصوتات مقاييس خاصة في تحديد مخارجها، تعتمد على درجة انفتاح المخرج، والموضع الذي يشترك في النطق من اللسان، وشكل الشفتين، ولبيان ذلك مكانه من كتب علم الأصوات المعاصرة.

(٤) يمكن استعمال مصطلحات الخليل في تحديد مخارج حروف العربية، مع بعض التغيرات التي تقتضيها الدقة في الإشارة إلى المخارج والوضوح في استعمال المصطلحات، ومن ثم فإن وصف (الظاء والذال والطاء) بأنها لثوية لم يعد مناسباً، لا سيما أن بعض المتقدمين قد شكك في دقة هذا الوصف، وأطبق المحدثون على عدم دقته^(٢).

(٥) ينبغي استحضار ما يقوله دارسو الأصوات المحدثون من أن هناك صعوبة في اجتماع كلمة الدارسين على وصف واحد لمخارج حروف لغة ما، لأن بعض الأصوات قد يختلف حولها الدارسون، فتتعدد وجهات نظرهم في تحديد مخارجها^(٣)، لكن يمكن أن يكون هناك نوع اتفاق أو شبه إجماع على ترتيب المخارج، مع بقاء إمكانية وجود استثناءات يمكن أن تحسم أمرها بحوث المستقبل.

(٦) بناءً على ذلك كله، يمكن أن يكون الترتيب الآتي لمخارج الحروف

(١) ينظر: مخارج الحروف وصفاتها ص ٧٩، ومرشد القارئ ص ٣٢، ٤٠.

(٢) ينظر: التاذفي، الفوائد السرية ص ١٢١ والمرعشي، جهد المقل ص ١٣٥، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٤٧.

(٣) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات ص ١٨١.

الجامدة أو الصامتة العربية هو الترتيب الأكثر موافقة للنطق الفصيح للعربية اليوم، وهو الأكثر قرباً من الدقة العلمية، مع مراعاة مقتضيات التعليم التي تستدعي التغاضي عن بعض الاختلافات الدقيقة في المخارج أو الصفات مما يشق على الدارسين إدراكه بسهولة، مثل التمييز بين مخارج الحروف الثلاثة: اللام والنون والراء.

وإليك هذا الترتيب المفضل:

- (١) الحروف الشفوية: ب، م، و (غير المدية).
- (٢) الحروف الأسنان - الشفوية: ف.
- (٣) الحروف الأسنان: ظ ذ ث.
- (٤) الحروف الأسلية (وهي الأسنان - اللثوية): س ص ز.
- (٥) الحروف النطعية (وهي اللثوية): ط د ت ض.
- (٦) الحروف الدلعية (وهي اللثوية - الغارية): ل، ر، ن.
- (٧) الحروف الشجرية (وهي الغارية): ج، ش، ي (غير المدية).
- (٨) الحروف الطبقية: ك.
- (٩) الحروف اللهوية: ق.
- (١٠) حروف أدنى الحلق إلى الفم: غ خ.
- (١١) حروف وسط الحلق: ع ح.
- (١٢) الحروف الحنجرية: هـ.

هذا الترتيب يجمع أفضل ما في الدرس الصوتي العربي القديم، ويأخذ بأحسن ما في الدرس الصوتي الحديث، فهذه المخارج في الأصل هي مخارج سيبويه بعد ترتيبها ترتيباً تنازلياً على مذهب الجزمي، مع دمج مخارج الحروف الثلاثة اللام والنون والراء في مخرج واحد، موافقة لجمهور



المحدثين وعدد من المتقدمين، وحذف مخرج النون الخفية متابعة لابن الطحان، ونقل مخرج الضاد إلى مخرج الطاء والdal والتاء، بناءً على النطق المعاصر لدى جمهور قراء القرآن الكريم.

فإن وجدت هذا الترتيب صحيحاً فأحمد الله على توفيقه، وإن وجدته غير ذلك فالتمس لكاتبه عذراً، فلعله وَهَمَ، أو لعلك نظرت إلى الموضوع من جانب آخر، والله ولي التوفيق في كل منهج وطريق.



مصادر البحث

- إبراهيم أنيس (دكتور)، الأصوات اللغوية، ط ٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م.
- أحمد بن أحمد الطويل (الشيخ)، فن الترتيل وعلومه، ط ١، مجمع الملك الفهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- أحمد خالد شكري (دكتور) وزملاؤه، المنير في أحكام التجويد، ط ٨، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- أحمد مختار عمر (دكتور)، دراسة الصوت اللغوي، ط ١، عالم الكتب ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- الأزهري (أبو المنصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، ج ١، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- الأسترآبادي (رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد الزفازف وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة.
- التاذفي (محمد بن إبراهيم الحلبي)، الفوائد السرية في شرح المقدمة الجزرية، رسالة ماجستير، تحقيق: ساهرة حمادة سالم، كلية التربية - جامعة تكريت ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- تمام حسان (دكتور)، مناهج البحث في اللغة، ط ٢، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ابن الجزري (أبو الخير محمد)، أ - التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ب - غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.
- ت - النشر في القراءات العشر، مراجعة علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.



- ابن الحاجب (عثمان بن عمر)، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: د. موسى بناي العلي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٣ م.
- حسني شيخ عثمان، حق التلاوة، جبهة للنشر، عمان ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- الحلبي (أبو الطيب عبدالواحد بن علي)، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. مصطفى أحمد النحاس، ط ١، القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج ١، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد)، التحديد في الإتيان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٩٩٩ م - ١٤٢٠ هـ.
- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧ م.
- الذهبي (محمد بن أحمد)، معرفة القراء على الطبقات والأعصار، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية، إستانبول ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- رمضان عبدالنواب (دكتور)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط ١، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة دار الهلال، بيروت ١٩٩٣ م.
- ابن السراج (محمد بن السري)،
- أ - الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ب - الموجز في النحو، تحقيق: د. مصطفى الشويمي وابن سالم دامجي، مؤسسة أ. بدران، بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- سعد عبدالعزيز مصلوح (دكتور)، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب القاهرة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

- السكاكي (يوسف بن محمد)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- السمرقندي (محمد بن محمود)، روح المريد في شرح العقد الفريد، تحقيق: إبراهيم عواد إبراهيم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغداد ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة.
- السيرافي (الحسن بن عبدالله)، أخبار النحويين البصريين، نشره: فريتس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م.
- السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو، صححه محمد بدر الدين النعساني، الخانجي الكتبي بمصر ١٣٢٧هـ.
- أبو شامة (عبدالرحمن بن إسماعيل)، إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شريح بن محمد الرعيني، نهاية الإتيقان في تجويد القرآن، مخطوط في مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية، كلكتا، رقم (٧٩٥)، مصورة الدكتور حازم سعيد حيدر.
- الشهرزوري (المبارك بن الحسن)، المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، تحقيق: عثمان غزال، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٧م.
- الشيرازي (نصر بن علي بن أبي مريم)، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ابن الطحان (عبدالعزیز بن علي الأندلسي)،
أ - مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق: د. محمد يعقوب تركستاني، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ب - مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ودار البشير ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- عبدالرحمن أيوب (دكتور)، أصوات اللغة، ط ١، مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٩٦٣م.
- عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي (الشيخ)، هداية القاري إلى كلام الباري، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- عبدالوهاب بن محمد القرطبي، الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.



- أبو العلاء العطار (الحسن بن أحمد الهمداني)، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- علي القاري (ملا علي بن سلطان محمد)، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- العُماني (أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد)، الكتاب الأوسط في القراءات، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- القفطلي (علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية.
- كمال بشر (دكتور)، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمد بن شحادة الغول، بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن، ط ٩، دار ابن القيم - دار ابن عفان ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- محمود السعران (دكتور)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط ٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- المرادي (الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم)،
أ - شرح الواضحة في تجويد الفاتحة للجُمبيري، تحقيق: د. عبدالهادي الفضلي، دار القلم، بيروت.
- ب - المفيد شرح عمدة المجيد في علم التجويد للسخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- المرعشي (محمد بن أبي بكر الملقب ساجقلي زادة)،
أ - بيان جهد المقل، بهامش جهد المقل، مؤسسة قرطبة ٢٠٠٤م.
- ب - جهد المقل، تحقيق: د. سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- مكّي بن أبي طالب القيسي،
أ - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ط ٣، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ب - الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحجمها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، طبعة بولاق.
- المؤدب (القاسم بن محمد بن سعيد)، دقائق التصريف، تحقيق: د. أحمد ناجي القيسي وآخرين، المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ / ١٩٧٤م.

- ابن الناظم (أبو بكر أءمء بن الجزرى)، الءواشى المفهمة فى شرح المقدمة، ءءقق عمر عبدالرزاق معصرالى، الجفان والجابى، ءمشق ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- الءذلى (أبو القاسم يوسف بن على)، الكامل فى القراءات العشر والأربعىن الزائءة علىها، ءءقق: الشىخ جمال ابن السىء رفاعى الشابى، مؤسسه سما ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- الواسطى (عءالله بن عبد المؤمن)، الكنز فى القراءات العشر، ءءقق: ءالء أءمء المشءءانى، مكءبه الثقافه الءبىئة، القاهرة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ابن يعىش (يعىش بن على بن يعىش)، شرح المفصل، الطباعة المنىرىة، القاهرة.

